جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

صُورةُ البكاءِ في قصيدة:
"قَذًى بعَينِك " للخنساء في رثاء صخر أنموذجاً

The Image Of Crying In The Poem "The Mote In Your Eye" By Al-Khansa'a In Sakhr's Elegy Is An Example

إعداد
الباحثة/ تركية بنت مطحس اردعي المقاطي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

صُورةُ البكاءِ في قصيدة: "قَذًى بعَينِكِ" للخنساء في رثاء صخر أنموذجاً

تركية بنت مطحس اردعي المقاطي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني: *turkeamakaty67@gmail.com*

الملخص:

هذا البحثُ دراسةٌ عن صورة البكاء في الشعر العربي، وعنوانه: صُورةُ البكاءِ في قصيدة: "قَذًى بعَينِكِ" للخنساء في رثاء صخر أنموذجًا، ولهذا الموضوعِ أهميةٌ كبيرةٌ؛ إذْ إنَّه يتعلَّقُ بالشعر الذي هو ديوانُ العربِ وخلاصةُ تجاربهم، ومصدرٌ لتدوين معارفهم المختلفة، وله دورٌ كبيرٌ في حفظ اللغة؛ فهو وعاءُ اللغةِ ومستودعُها؛ ولذا فهو مادةٌ أساسيةٌ لاستنباط قواعد اللغة، وتنمية الملكة البلاغية، وتفصيح اللسان، وتسعى هذه الدراسةُ إلى الكشف عن خصائص الصُّورة الحسية والذهنية، والتعرُّف على مضامينهما ورصد العلاقات من خلال معانيهما، وقد آثرتُ أن أعتمدَ على المنهج الإنشائي في هذه الدراسة ؛ لما يُقدِّمُه من أدواتٍ تمكنُ الباحثَ من وصف النص الأدبي، والتمييز بين مستويات المعنى، وما ينشأُ بينها من علاقاتٍ، هذا، وقد توصَّلت الدراسةُ إلى العديد من النتائج، جاء من أهمها: أنَّ الصُّورةَ الحسيةَ كشفتْ عن عدَّة أساليبَ في القصيدة للتنفيس عن حزنها، كما كشفتْ عن فخر الشاعرة بأخيها من خلال إشادتها بالكثير من صفاته لتجسيد الصُّورة الحسية، وتمثَّلت الصُّورةُ الذهنية من خلال الشكوى من الدهر والرضا عنه أحيانًا.

الكلمات المفتاحية: صُورة البكاء، قصيدة قَذًى بعَينِكِ، الخنساء، رثاء صخر.

The Image Of Crying In The Poem “The Mote In Your Eye” By Al-Khansa’a In Sakhr’s Elegy Is An Example

Tur Turkiya bint Matahs Ardaei Al-Maqati
Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah

Email: *turkeamakaty67@gmail.com*

Abstract:

This study seeks to reveal the characteristics of sensory and mental images, identify their contents, and monitor relationships through their meanings. I chose to rely on the structural approach in this study; Because of the tools it provides that enable the researcher to describe the literary text, distinguish between levels of meaning, and the relationships that arise between them. The study reached many results, the most important of which are :The sensual image revealed several methods in the poem to vent her sadness, and the poet’s pride in her brother through her praise of many of his qualities to embody the sensual image, and the mental image was represented by complaining about time and sometimes being satisfied with it .

Keywords: ***The Image Of Crying, The Poem “The Mote In Your Eye,” “Al-Khansa’a,” “Sakhr’s Elegy”.***

المقدمة

الحمدُ لله الذي فتق بالشعر ألسنةَ الشعراءِ، وصقل بالفصاحة بيانَ الفصحاء، سبحانه على نعمه الماثل ومننه الفواضل وإكرامه المتواصل.

والصلاةُ والسلامُ على مَن فجَّر اللهُ فيه ينبوعَ البيان، وملَّكَه ناصيةَ القولِ وأزمَّة المعان، سيدنا محمد النبي الأمِّي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،،،،،،

فالشعرُ ديوانُ العربِ وخلاصةُ تجاربهم، ومصدرٌ لتدوين معارفهم المختلفة، وله دورٌ كبيرٌ في حفظ اللغة؛ فهو وعاءُ اللغةِ ومستودعُها، ولذا فهو مادةٌ أساسيةٌ لاستنباط قواعد اللغة، وتنمية الملكة البلاغية، وتفصيح اللسان.

أ - أهمية الموضوع:

البكاءُ صُورةٌ من صور التعبير عن الألم والحزن المسيطر على نفس الشاعر، وهو يندرج تحت فنِّ الرثاء الذي يُعدُّ من أبرز الموضوعات في الشعر العربي عامةً، والشعر الجاهلي خاصةً، بالإضافة إلى أنَّ الصُّورةَ تُكسبُ النصَّ الأدبيَّ دلالاتٍ لها أبعادها الجمالية.

ب - أسباب الاختيار:

الخنساءُ من شواعر العرب المعترف لهنَّ بالتقدُّم، فالقصيدةُ المقترحةُ للدراسة تحملُ في معانيها دلالاتٍ تعبيريةً مختلفةً، باعثُها هو الحزنُ والأسى النابعُ من صميم عاطفتها الصادقة.

ج - تساؤلات البحث:

انطلقتُ في كتابة بحثي من خلال: كيف استخدمت الشاعرةُ الصُّورةَ للدلالة على عمق حزنها؟ وما هو أثرها على المتلقِّي؟

د - خطة البحث:

من خلال محاولتي لاستجلاء خصائص الصُّورة، والتعرُّف على مضامينها قسَّمتُ البحثَ إلى مبحثين تسبقُهما مقدمةٌ وتمهيدٌ، وتعقبُهما خاتمةٌ متلوةٌ بقائمة المراجع.

أمَّا المقدمةُ ففيها بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبذةٌ عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وتساؤلات البحث، وخطته، ومنهج السير فيه، والدراسات السابقة.

وأمَّا التمهيد ففيه الحديثُ عن صورة البكاء في الرثاء، ونبذة عن الشاعرة.

وأمَّا المبحث الأول، فكان بعنوان: الصُّورة الحسية.

وأمَّا المبحث الثاني، فكان بعنوان: الصُّورة الذهنية.

وجاءت الخاتمةُ مشتملةً على أهمِّ النتائج التي توصَّلتُ إليها في هذا البحث.

هـ - منهج البحث:

قد يكونُ من الأجدى في دراسةٍ تسعى إلى تحليل الصُّورة، ورصد العلاقات من خلال معانيها أن أعتمدَ المنهجَ الإنشائيَّ، وهو: "ما يقدِّمُه من أدواتٍ تمكنُ الباحثَ من وصف النص الأدبي، والتمييز بين مستويات المعنى، وما ينشأُ بينها من علاقاتٍ"(١).

---

(١) أ.د محمد القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ط١ ، مسكيلياني للنشر والتوزيع تونس ، ٢٠٠٣، ص ٣٧-٣٨-٤٣.

بالإضافة إلى أنَّه وقع اختياري لهذا المنهج؛ لتكونَ دراستي مختلفةً في طور الدراسات الكثيرة لهذا النص بعدَّة مناهجَ حديثةٍ.

و - الدراسات السابقة:

لم أقعْ على دراسةٍ علميةٍ مستقلةٍ تناولت القصيدةَ من خلال المنهج الإنشائي، ولكنِّي أشيرُ إلى عثوري على بحوثٍ ودراساتٍ متفاوتة القيمة تجدرُ الإشارةُ إليها، ولعلَّ أهمَّها: الصُّورةُ الفنيةُ في شعر الخنساء، إعداد د. محمد ناصر. وقصيدة: "قَذًى بعَينِكِ" للخنساء، دراسة أسلوبية للبكاي أخذاري. وقراءة جديدة في مراثي الخنساء، للدكتور/ جبار اللامي، وغيرها.

التمهيد

صُـورة البكاء فـي الرثاء

يُمثِّلُ مصطلحُ " الصُّورة بين الفكر البلاغي القديم والنقد المعاصر مشكلةً وتشابكًا من حيث المفهوم والأنماط ووسائل التشكيل والأثر النفسي، وقد ازدادت المشكلةُ تعقيدًا في النقد المعاصر بمذاهبه ومناهجه المتباينة فكرًا، فقد أضفى كلُّ منهجٍ درس الصُّورةَ، واعتمد في تحليله العميق على مفهومها، ومنحها بعدًا نقديًّا جديدًا، فحملت الصُّورةُ ملامحَ المنهجِ ومفهومه الخاص، فكانت له سماتٌ محددةٌ في أكثرَ من مجالٍ من مجالات المعرفة الإنسانية في الدراسات اللسانية أو اللغوية والفلسفية والرمزية والبلاغية أو الفنية "[١].

" لا يقلُّ رثاءُ الأخوة حزنًا عن رثاء الآباء والأبناء، فالأخُ عزيزٌ على الأنفس، فقد تجلَّى الرثاءُ في عدَّة صورٍ حزينةٍ، فهو تارة سندٌ للعشيرة، وتارة مثلٌ أعلى للكرم والنجدة، وتارة بطلٌ في الميدان، وتارة حامٍ للذمار والشرف. والدارسُ للرثاء في الشعر الجاهلي يجدُ أنَّ الخنساءَ احتلت المرتبةَ الأولى "[٢].

نبـذة عن الشاعرة:" هي الخنساءُ بنتُ عمرو بن الحارث بن الشَريد ... بن سُليم.. بن قيس عيلان بن مُضَر، واسمُها تُماضِر، والخنساء لقبٌ غلب عليها"[٣].

---

(١) د. بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط١ ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ١٩٩٤م ، ص١.

(٢) د. محمود حسن أبو ناجي ، الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب ، جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة ، ط٢،، دار كتب الحياة بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ ، ص ٤٧ .

(٣) د. إحسان النّص ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م ، ص٩٩.

" كان صَخْرٌ أخاها لأَبيها، وكان أَحبَّهما إليها، وكان صخرٌ يستحقُّ ذلك منها بأمورٍ، منها: أَنَّه كان موصوفًا بالحِلم ومشهورًا بالجود، ومعروفًا بالتقدُّم والشجاعة، ومَحْظوظًا في العشيرة. وكان سبب قتلِ صخرٍ أنَّه جمع جمعًا، وأَغار على بني أَسَدِ بن خُزيمة، فَنَذروا به فالتقوا، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فارْفَضَّ أَصحابُ صخرٍ عنه، وطعنه أبو نور طعنةً في جنبه استقلَّ بها"(١) .

ومن خلال الأبعاد الجمالية للصورة تناولتْ قسمين: الصورة الحسية، والصورة الذهنية.

"والصُّورةُ بهذا المفهوم الجمالي الذي يكسبُ الشعرَ شعريتَه تحملُ في رؤى الشاعر المبدع والناقد أو المتلقي بعدين مهمين، ذهنيًّا: يتمثَّلُ في تولُّدها فكرةً في مخيلة الشاعر، وحسيًّا فيما يتعلَّقُ بالمتلقِّي أو الناقد الذي قد يدركُها بحواسه ليعيدَ خلقَها من جديدٍ وفقَ رؤاه وذوقه"(٢).

(١) أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، الكامل في اللغة والأدب، ط٢ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ص٣٥١-٣٥٢-٣٥٧ .

(٢) حافظ محمد المغربي ، الصُّورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر "دراسة فنية تحليلية" ، النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ص٢ .

المبحث الأول

الصُّورةُ الحسيةُ

إنَّ القصيدةَ بدءًا بأول بيتين:

" قَــذًى بعَينِــكِ أمْ بــالعَينِ عُــوّارُ أمْ ذَرَفَــتْ إذْ خلَــتْ مــن أهلِهــا الــدارُ

كــأنّ عينــي لــذكراهُ إذا خَطَــرَتْ فــيضٌ يَسـيلُ علــى الخَــدّين مِـدرارُ"[١]

تلجأُ الشاعرةُ فيهما إلى خطاب العين، طالبةً منها البكاءَ، فقد استخدمت أسلوبَ الاستفهامِ، متسائلةً عن سبب البكاء؛ لأنَّها غيرُ مصدقةٍ لما حدث لأخيها، فطريقةُ دموعها جاءتْ كالسيل الغزير الذي لا يتوقَّفُ من كثرته، والتشبيهُ هنا مفسِّر لشعورها الذي يفضي إلى قمة الحزن والألم، وكاشف عن صدق عاطفتها التي تلامسُ الوجدانَ العاطفيَّ، وعمق الشعور الإنساني.

فالبكاءُ هو إحدى الوسائل للتنفيس عن كربتها، وتخفيف أحزانها.

وجاء التكرارُ –أيضًا– في كلمة "أم" و"العين"؛ ليؤكِّدَ الحيرةَ والأسى.

والصور البصرية " يمكنُ أن تبدأَ من الواقع حين تدركُها العينُ الباصرة "[٢] .

---

(١) عبدالسلام الحوفي ، شرح ديوان الخنساء ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ –١٩٥٨م ، ص٣٨.

(٢) حافظ محمد المغربي ، الصُّورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر "دراسة فنية تحليلية" ، النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ص١١١ .

إنَّ رؤيةَ الشاعرة بالعين البصيرة رؤيةٌ نفسيةٌ تنبعُ من روحها الحزينة؛ لتكوِّنَ صُورةً حسيةً ذات بعدٍ نفسي عميقٍ يُلامسُ أقوى مراحل الشعور بالحزن، حاملًا في طياته عبرةَ النوح والجزع الذي أصابها بعد موت أخيها، فقد رسمت الشاعرةُ صُورةَ دمعها المستمر، وشبَّهته بالمطر الغزير، وعبَّرت عن كثرته بالمرض الذي يصيبُ العينَ، وهو الرمدُ، وربطت كثرةَ الدمع وسيلانه على خدها بالتتابع وعدم التوقف، ممَّا يبرزُ جماليةَ الصُّورة، ودقَّة اختيارها للألفاظ التي تجعلنا نكاد نرى تقسيمات عينها، وشكل دموعها ونشعرُ بها .

وعبَّرت الشاعرةُ بأساليبَ ودلالاتٍ؛ لتبيِّنَ صورَ حزنها، وهذا يُفسِّرُ لنا أنَّ بكاءَ الخنساء جاء يصحبُه صوتٌ وعويلٌ، من خلال ذكرها لمناقب أخيها وفضائله، حتى لتجعله مثالًا يُحتذَى به، ومن خلال قافيتها التي جعلتها متناسقةً مع حرف الروي؛ لتثبتَ أجراسها في المسامع، وممَّا قالتْ في ذلك:

"وإنَّ صَخْرًا لَوالينا وسيدُنَا ... " وإنَّ صَخْرًا إذا نَشْتوا لَنَحَّارُ

وإنَّ صَخْرًا لمِقْدامٌ إذا رَكِبوا ... وإنَّ صَخْرًا إذا جاعوا لَعَقَّارُ

وإنَّ صَخْرًا لَتَأتَمُّ الهُداةُ بِهِ ... كَأنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ "[1]

ولقد ورد التوكيدُ في "إنَّ"؛ هنا ليحملَ دلالةً كبرى على تأكيد اتصاف صخر بهذه الصفات من كرمٍ، وشجاعةٍ، وعفةٍ، ومروءةٍ، وغيرها.

---

(١) – عبدالسلام الحوفي ، شرح ديوان الخنساء ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ –١٩٥٨م ، ص٤٠.

"جَلْـدٌ جَميـلُ الْمحَيَّـا كامِـلٌ وَرِعٌ و للحـروب غـداةَ الـرّوْع مِسـعارُ

حَمَّـالُ ألويـةٍ هَبَـاطُ أوْديَـةٍ شَـهّادُ أَنْدِيَـةٍ للجَـيشِ جَـرَّارُ"(١)

كما جعلت من الاستعارة دلالةً على صفة البطولة والصبر لصخر؛ إذْ شبَّهت الحرب بالنار، وبالغت في كلمة "مسعارُ"؛ للدلالة على مكانة أخيها بين قومه. وفي آخر بيتٍ كنايةٌ عن الشجاعة، وجاءت كلماتها: "حَمّالُ ألويةٍ، هَبَاطُ أوْديَةٍ ، شَهّادُ أَنْديةٍ" متناغمةً موسيقيًّا؛ لتضفيَ نبراتٍ متوازنةً ومعانيَ تُجسِّدُ صفاتِ المُرثِي.

و قالت الخنساء أيضًا:

"مُـوَرَّثُ الَمجْـدِ مَيْمُـونٌ نَقيبَتُـهُ ضَـخْمُ الدّسـيعَةِ فـي العَـزّاءِ مِغـوَارُ

فَـرْعٌ لفَـرْعٍ كَـريمٍ غَيـرِ مُؤتَشَـبٍ(٢) جلـدُ الَمريـرَةِ عنـدَ الجَمْـعِ فَخّـارُ"(٣)

ذكرت الشاعرةُ أنَّه نحارٌ وعقارٌ؛ كنايةً عن كثرة الجود والكرم، ومسعار – أيضًا– كنايةً عن الشجاعة، وأنَّه يُوقدُ الحروبَ؛ كنايةً عن البطولة، وأنَّه كالعلم الذي يُحتذَى به.

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٠.

(٢) معنى كلمة مُؤتَشَبٍ : المخلوط الحسب . عبدالسلام الحوفي ، شرح ديوان الخنساء ، ط١ ، دار الكتب العلمية ببروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ –١٩٥٨م ، ص٤١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١.

كما ذكرت هنا أنَّه صاحبُ حسبٍ ونسبٍ وذو مجدٍ ومِقْدامٌ في الحروب، فقد أكثرت الخنساءُ من الكنايات؛ لتزيدَ من جمال القصيدة، وتعمقَ دلالاتِها في معاني أبياتها؛ فتشكَّلتْ صُورةُ البكاء، واتضحت من خلال التأبين، فجسَّدت هنا الصُّورةَ الشعريةَ من خلال ذكر هذه الصفات والفضائل التي طبعتها بطابع البقاء مدى الحياة على الرغم من موت صاحبها، وهذا يدلُّ على شدَّة تعلُّق الشاعرة بأخيها؛ لتخبرنا أنَّه أقلُّ ما تفعلُه هو أن تشيدَ بصفات أخيها، فشعورها الداخلي لا شكَّ أنَّه امتزج بشعور المتلقِّي من خلال المولونوج النفسي، ومن خلال تعدُّد هذه الصفات والمناقب –أيضًا– امتزجت عاطفةُ الحزن بعاطفة الحبِّ معًا.

و–أيضًا– تمثَّلتْ صُورةُ البكاء الحسية من خلال طريقتها في النوح والجزع الذي أصابها بعد رحيل أعزِّ النَّاس عنها، فهي تعكسُ صدمتَها النفسية.

ولعلَّ خيرَ ما يُصوِّرُ ذلك هذا البيتُ والذي يليه:

"تبكي لصَخرٍ هي العَبْرَى وقدْ وَلَهتْ ودونَهُ من جديدِ التُّرْبِ أستارُ"[1]

"لقد نَعَى ابنُ نهيك لي أخا ثِقَةٍ كانتْ تُرَجَّمُ عنهُ قبلُ أخبارُ"[2]

تقولُ الشاعرةُ:

"تبكي خُناسٌ فما تَنفكُّ ما عَمَرَتْ لها علَيْهِ رَنينٌ وهيَ مِفْتارُ"[3]

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٨.

(٢) المرجع السابق ، ص٤٠.

(٣) معنى كلمة المفتار : المقصر . عبدالسلام الحوفي ، شرح ديوان الخنساء ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ –١٩٥٨م ، ص٣٩.

تبكي خُناسٌ على صَخرٍ وحقَّ لها إذ رابَها الدَّهرُ، إنَّ الدَّهرَ ضَرَّارُ"[١]

التكرارُ في كلمة (تبكي) وكلمة (خناس) دلالةٌ على استمرار البكاء وعدم توقُّفه طوال حياتها، حتى لا ينتابَها التقصيرُ في حقه.

فهي لم تكتفِ بذلك، بل أسقطت حزنَها على الزمن وأحداث القدر؛ لتجسِّدَ بذلك صُورةً حسيَّةً تتشكَّلُ من خلال لوعة الحزن ومرارة الفقد.

ومن صور الحزن –أيضًا– عزاءُ الشاعرة لذاتها.

فهي تخلقُ صورًا حسيةً سمعيةً من خلال صوت رنين الدمع الذي ملأ السمعَ، وأنَّ هذا الرنينَ سيسمعُ طوالَ حياتها، فالصُّورةُ البصريةُ امتزجتْ هنا بصُورةٍ سمعيةٍ لها وقعها وحركتها في الأسماع، وجاء الصوتُ حاملًا في طياته دلالةً نفسيةً وجدانيةً. فهذا مشهدٌ ناطقٌ غلب عليه التصويرُ المبدعُ؛ لتبرِّرَ من خلاله حبَّها الشديدَ لأخيها.

ومن الصور الحسية حينما طلبت من الفقير أن يبكيَ ويشاركَها حزنَها على أخيها؛ لأنَّه بحاجةٍ أكثرَ منها، وذلك من خلال لام الأمر المستقبلية، فكأنَّها تخلقُ فينا حسَّ الشعور بحالها وحاجتها لصخرٍ هي –أيضًا–.

تقول:

"لِيَبْكِهِ مُقْتِرٌ أفْنى حريبَتَهُ دَهْرٌ وحالَفَهُ بؤسٌ وإقْتارُ"[٢]

(١) المرجع السابق ، ص٣٩.

(٢) المرجع السابق ، ص٤١ .

الموتُ دفع الشاعرةَ إلى ابتداع الصور، فنستشعرُ من خلالها حزنَ ذات الشاعرةِ الذي طبعتْه على كل أبيات القصيدة.

كذلك أشركت الطبيعةُ في حزنها، من خلال سهرها مع النجم الذي ظلَّتْ تراقبُه، متى يأتِ فيأتي معه الفرجُ، ولكن على الرغم من انتظارها لا جدوى من ذلك؛ فقد سقط ذلك النجمُ، وهو كنايةٌ واضحةٌ تقصدُ به أخاها الذي غاب نجمُه وسقط بعد موته؛ لتبيِّنَ لنا جمالَ صخرٍ، فقد جنحت الشاعرةُ بخيالها من خلال صُورةٍ حسيةٍ ربطتْها بين جمال النجم وجمال صخر، دفعتها إليها مشاعرها.

تقول الشاعرة:

"فبِتُّ ساهرَةً للنَّجْمِ أرقُبُهُ حتى أتى دونَ غَورِ النَّجمِ أستارُ"(١)

و مما جاء في ذلك –أيضًا– قولها:

"جَهْمُ المُحَيَّا تُضِيءُ اللَّيلَ صورَتُهُ آباؤهَ من طِوالِ السَّمْكِ أحرارُ"(٢)

هنا صُورةُ ضوء الليل تمثَّلتْ علاقتُها تمامًا بصُورةٍ صخرٍ، وهي علاقةٌ مرتبطةٌ كما ترى الشاعرة؛ لأنَّ الليلَ مظلمٌ لا بُدَّ له من ضوءٍ ليرى من خلاله الناسُ حياتَهم.

تقول –أيضًا–:

(١) عبدالسلام الحوفي ، شرح ديوان الخنساء ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ –١٩٥٨م ، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق ، ص٤١.

"مثــلُ الرُّدِينـــي لـــمْ تَنفَـــدْ شَـــبيبَتُهُ كَأَنَّـــهُ تحـــتَ طـــيِّ البُـــرْدِ أُسْـــوَارُ"[١]

كشفت الصُّورةُ من خلال الإحساس الملموس بالرمح في يد أخيها بالسوار في اليد؛ وذلك لهيفه ولطافة بطنه، وهذي دلالةٌ تُفضي إلى براعة ودِقَّة استخدامه له.

نلاحظُ أنَّ أغلبَ كلمات القصيدة جاءت بالأفعال الماضية، مثل: "ذرف، خلى، خطر، نعى، حُقَّ"، وغيرها؛ لتحملَ دلالةَ حنين الشاعرة، وتعلُّقها بالزمن الماضي، ورفضها للزمن الحاضر.

وتحليلُ الصُّورة الحسية في القصيدة ينطبقُ على ما تبقَّى من الأبيات؛ لأنَّه لا جديدَ في ذلك، فمعانيها جميعُها تحملُ موضوعًا واحدًا، وهو الحزنُ والبكاءُ.

(١) المرجع السابق ، ص٤١ .

المبحث الثاني

الصُّورةُ الذهنيةُ

هي الصُّورةُ التي تهتمُّ بالحجج والأقيسة التي تخاطبُ العقلَ، أو هي: " الصُّورةُ التي يتجهُ فيها الخيالُ إلى مدارك العقل الذهنية، فيكونُ الخيالُ خاضعًا لسطوة العقل" (١) .

كشفت الصورُ في قصيدة الخنساء عن الكثير من الإيحاءات التي تريدُ من خلالها التأثيرَ على المتلقِّي. ومن ذلك قولها:

"كأنَّ عيني لذكراهُ إذا خَطَرَتْ فيضٌ يَسيلُ على الخَدَّينِ مِدْرَارُ" (٢)

هنا ربطت الصُّورةُ الشعريةُ من خلال ذاكرة الشاعرة وذهنها العالق بأخيها، والدمع الناتج عن حقيقة الموت، وحتى بعد موته تجعلُه حاضرًا في حياتها، وهنا رؤيةٌ تكشفُ عن شعور الفقدِ والاغتراب.

والصُّورةُ الذهنيةُ تكشفُ -على الرغم من البكاء والتضجُّر- عن أنَّ الموتَ حقيقةٌ حاصلةٌ مهما طال الزمنُ.

"تبكي خُناسٌ على صَخرٍ وحُقَّ لها إذ رابَها الدَّهرُ، إنَّ الدَّهرَ ضَرَّارُ"(٣)

---

(١) د. أحمد إسماعيل ، مقومات الصورة في الشعر في مملكة غرناطة . "مخطوط دكتوراه" ، بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص١٨٤.

(٢) عبدالسلام الحوفي ، شرح ديوان الخنساء ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ١٤٠٥هـ -١٩٥٨م ، ص ٣٨.

(٣) المرجع السابق ، ص٣٩.

ومما جاء في ذلك قولها:

" يوْمًـا بأوْجَـدَ منِّـي يـوْمَ فـارَقَني صَـخْرٌ وَلِلـدَهْرِ إحـلاءٌ وإمـرارُ "[١]

وهنا حقيقةٌ ذهنيةٌ تخاطبُ بها الشاعرةُ العقولَ، وهي أنَّ الدهرَ يأتي بالحلو الجميل والمر المكروه.

و الدلالةُ الذهنيةُ "يفترضُ أنَّها وحدةُ بناء الذهن الإنساني"[٢].

"لا بُـدَّ مِـنْ ميتَـةٍ فـي صـرفِها عِبَـرٌ والـدَّهرُ، فـي صَـرْفِهِ حـولٌ وأطْـوارٌ "[٣]

فهذا البيتُ يدُلُّ على الأسى وقناعة الشاعرة بأنَّ الموتَ لا بُدَّ منه، يأتي من خلال تقلُّبات الزمن وأطواره، وأنَّ الدهرَ هو الذي يفعلُ ما يشاءُ بعيدًا عن إرادتنا، جاء هذا البيتُ بعد العويل والنعي؛ ليثبتَ لنا التأمُّلَ الفكريَّ العميقَ في حقيقة الموت والحياة، والكشف عن أعماق شخصية الشاعرة وهي تناجي ذاتها المكسورة.

" تكشفُ عن أعماق الشخصيَّة وطرائق نظرها، وهي بصدد التفكير لا سيَّما تلك التي تكونُ مأزومةً وتبحثُ عن مخرجٍ من أزمتها "[٤].

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٩.

(٢) مفرح كريم ، صورة الشعر ... صور العالم دراسات في الشعر العربي ، المجلس الاعلى للثقافة – القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص٣١.

(٣) عبدالسلام الحوفي ، شرح ديوان الخنساء ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ –١٩٥٨م ، ص ٣٩..

(٤) محمد القاضي ومجموعة من المؤلفين ، معجم السرديّات ، ط١ ، دار محمد علي للنشر – تونس ، ٢٠١٠م ، ص ٤٢٣.

فالصُّورةُ الشعريةُ ظهرتْ من خلال هذا التأمُّل والصبر على الدهر؛ محاولةً التخفيفَ من مصيبة الفقد لديها، ومن منطلق تجربةٍ شعوريةٍ حزينةٍ.

واتخذت الصُّورةُ الذهنيةُ أبعادًا من التفكير في شكلِ اللحدِ والقبرِ وأحجام صخوره من شاعرةٍ فكرت في الموت بكلِّ صوره ومعانيه، ومزجته بخيالها لمخاطبة العقول والتأثير عليها؛ لتجعلَ من الإنسان الحي موقفًا من الموت، من منطلق حبِّها الشديد لأخيها، وتفكيرها في حاله بعد الموت.

وهذا أبرزُ ما جاء في القصيدة عن الصُّورة الذهنية التي جسدت بالتفكير في الموت، إمَّا بالرضا وإمَّا بالسخط منه.

الخاتمة

الحمدُ لله الذي بنعمته تمُّ الصالحاتُ، وبجوده تكملُ الغاياتُ، والصلاةُ والسلامُ على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،،،،،،،،،،

فقد انتهيتُ بفضل الله وتوفيقه من هذا البحث، وقد توصَّلتُ فيه إلى أهمِّ النتائج، وجاءتْ على النحو الآتي:

- كشفت الصُّورةُ الحسيةُ عن عدَّة أساليبَ في القصيدة؛ للتنفيس عن حزنها.
- كما كشفت الدراسةُ عن مدى فخر الشاعرةِ بأخيها، وذلك من خلال إشادتها بالكثير من صفاته؛ لتجسيد الصُّورة الحسِّيَّة.
- تمثَّلت الصُّورةُ الذهنيةُ من خلال الشكوى من الدهر والرضا عنه أحيانًا.

وبعد :

فهذا عَمَلٌ متواضعٌ بذلتُ فيه قصارى جهدي، فإنْ أكنْ قد وُفِّقتُ فذلك فضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يشاءُ من عباده، وإنْ كانت الأخرى فحسبي أنَّني اجتهدتُ، والكمالُ لله – تعالى– وحده، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيبُ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين

قائمة المراجع

١- أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، الكامل في اللغة والأدب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢- إحسان النَّص، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣- أحمد إسماعيل، مقومات الصُّورة في الشعر في مملكة غرناطة "مخطوط دكتوراه"، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤- بشرى موسى صالح، الصُّورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

٥- حافظ محمد المغربي، الصُّورة الشعريَّة بين النَّصِّ التُّراثيِّ والمعاصر" دراسة فنية تحليلية"، النشر العلمي والمطابع، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦- عبد السلام الحوفي، شرح ديوان الخنساء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧- محمد القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٣ م.

٨- محمد القاضي ومجموعة من المؤلِّفين، معجم السرديات، ط١، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ٢٠١٠م.

٩- مفرح كريم، صُورة الشعر... صور العالم: دراسات في الشعر العربي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٠- محمود أبو ناجي، الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب، جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ط٢، دار كتب الحياة، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ.

ملحق

قصيدة (قَذًى بعَينِكِ) للخنساء في رثاء صخر

قَـــذًى بعَينِـــكِ أمْ بـــالعَينِ عُـــوَّارُ أمْ ذَرَفَـتْ إذْ خلَـتْ مـنْ أهلِهـا الـدارُ

كَـــأنَّ عينـــي لـــذكراهُ إذا خَطَـــرَتْ فـيضٌ يَسـيلُ علَـى الخَـدَّينِ مِـدرارُ

تَبكـي لصَـخرٍ هـي العَبْـرَى وَقـدْ وَلَهـتْ ودونَـــهُ مـــنْ جديـــدِ التُّـــرْبِ أســـتارُ

تَبكـي خُنـاسٌ فمـا تَنفـكُّ مَـا عَمَـرَتْ لهـــا علَيْـــهِ رَنـــينٌ وهـــيَ مِفْتـــارُ

تَبكـي خُنـاسٌ علَـى صَـخرٍ وحُـقَّ لهَـا إذْ رابَهـــا الـــدَّهرُ، إنَّ الـــدَّهرَ ضَـــرَّارُ

لَا بُـدَّ مِـنْ ميتَـةٍ فـي صـرفِها عِبَـرٌ وَالـدَّهْرُ فـي صَـرْفِه حـولٌ وَأطْـوارُ

قـدْ كـانَ فـيكُمْ أبـو عَمْـرٍو يسـودُكُمُ نِعْـــمَ المُعَمَّـــمُ للـــدَّاعينَ نَصَّـــارُ

صُـــلْبُ النَّحيـــزَةِ وهَّـــابٌ إذَا مَنَعُـــوا وفـي الحـروبِ جـريءُ الصَّـدْرِ مِهصَـارُ

يـــا صَـــخْرُ وَرَّادَ مـــاءٍ قـــد تَنـــاذَرَهُ أهـــلُ المـــوارِدِ مـــا فـــي وِرْدِهِ عـــارُ

مشَـى السّـبَنْتى إلـى هيجـاءَ مُعْضِـلَةٍ ... لـــهُ ســـلاحانِ: أنيـــابٌ وأظفـــارُ

ومـا عَجُـولٌ علـى بَـوٍّ تُطيـفُ بِـهِ ... لهـــا حَنينـــانِ: إعْـــلانٌ وإسْـــرارُ

تَرْتَـعُ مـا رَتَعَـتْ، حتـى إذا ادَّكـرَتْ ... فإنَّمـــا هـــيَ اقبـــالٌ وَإدْبـــارُ

لاَ تَسـمنُ الـدَّهرَ فـي أرضٍ وَإنْ رتَعـتْ ... فإنَّمـــا هـــيَ تَحْنـــانٌ وتَسْـــجارُ

يوْمًـــا بأوْجَـــدَ منِّـــي يـــوْمَ فـــارَقَني ... صَـــخْرٌ وَلِلـــدَّهْرِ إحـــلاءٌ وَإمـــرارُ

وإنَّ صَـــــخرًا لَوالِينـــــا وســـــيدُنا ... وإنَّ صَـــــخْرًا إذا نَشْـــــتوا لَنَحَّـــــارُ

وإنَّ صَـــــخْرًا لمِقْـــــدامٌ إذا رَكِبـــــوا ... وإنَّ صَـــــخْرًا إذا جـــــاعوا لَعَقَّـــــارُ

وإنَّ صَـــــخْرًا لَتَـــــأتَمُّ الهُـــــدَاةُ بِـــــهِ ... كَأنَّـــــهُ عَلَـــــمٌ فـــــي رأسِـــــهِ نَـــــارُ

جَلْـــدٌ جميـــلُ المُحيَّـــا كامِـــلٌ وَرِعٌ ... وَللحـــروبِ غـــداةَ الـــرّوْعِ مِسْـــعَارُ

حَمَّـــالُ ألويَـــةٍ هَبَـــاطُ أودِيَـــةٍ ... شَـــهَّادُ أنْدِيَـــةٍ للجَـــيشِ جَـــرَّارُ

نَحَّـــارُ راغِيَـــةٍ مِلجـــاءُ طاغِيَـــةٍ فكَّـــاكُ عانِيَـــةٍ لِلعظـــمِ جَبَّـــارُ

فقلـتُ لمـا رأيـتُ الـدَّهرَ لـيسَ لَـهُ مُعاتـــبٌ وحـــدَهُ يُســـدي وَنيَّـــارُ

لقـدْ نَعَـى ابـنُ نهيـكٍ لـي أخـا ثِقَـةٍ كانـــتْ تُـــرَجَّمُ عنـــهُ قبـــلُ أخبـــارُ

فبِـــتُّ ســـاهرَةً للـــنَّجْمِ أرقُبُـــهُ حتـى أتـى دونَ غَـورِ الـنَّجمِ أستـارُ

لـــمْ تَـــرَهُ جـــارَةٌ يَمشـــي بســـاحَتِها لريَبـــةٍ حـــينَ يُخلـــي بيتَـــهُ الجـــارُ

ولا تَـــراهُ ومـــا فـــي البيـــتِ يأكُلُـــهُ لكنَّـــهُ بـــارزٌ بالصَّـــحنِ مِهْمـــارُ

ومُطْعِـمُ القَـوْمِ شَـحمًا عنـدَ مَسـغبهم وفـــي الجُـــدوبِ كـــريمُ الجَـــدِّ ميســـارُ

قـدْ كـان خالصـتي مـنْ كـلِّ ذي نَسَـبٍ فقـــدْ أُصـــيبَ فمـــا للعـــيشِ أوطـــارُ

مثـــلُ الرُّدِينـــيِّ لـــمْ تَنفَـــدْ شَـــبيبَتُهُ كَأَنَّـــهُ تحـــتَ طَـــيِّ البُـــرْدِ أُسْـــوَارُ

جَهْـمُ المُحَيَّـا تُضِـيءُ اللَّيـلَ صـورَتُهُ آبـــاؤهُ مـــن طِـــوالِ السَّـــمْكِ أحـــرارُ

مُـــوَرَّثُ المَجْـــدِ مَيْمُـــونٌ نَقيبَتُـــهُ ضَـخْمُ الدَّسـيعَةِ فـي العَـزَّاءِ مِغـوَارُ

فَـــرْعٌ لفَـــرعٍ كـــريمٍ غَيـــرِ مُؤتَشَـــبٍ جلـــدُ المَريـــرةِ عنـــدَ الجَمْـــعِ فَخَّـــارُ

فـــي جـــوْفِ لحْـــدٍ مُقـــيمٌ قـــد تَضَـــمَّنَهُ فـــي رَمْسِـــهِ مُقْمَطِـــرَّاتٌ وَأحجـــارُ

طَلْـــقُ اليَـــدينِ لفِعْـــلِ الخَيـــرِ ذو فَجَـــرٍ ضَـــخْمُ الدَّســـيعَةِ بـــالخَيراتِ أمَّـــارُ

ليَبْكِـــــهِ مُقْتِـــــرٌ أفْنـــــى حريبَتَـــــهُ دَهْـــــرٌ وحالَفَـــــهُ بـــــؤسٌ وإقْتـــــارُ

ورِفقَـــــةٌ حـــــارَ حـــــاديهمْ بمُهْلِكَـــــةٍ كَـــأَنَّ ظُلْمَتَهـــا فـــي الطِخْيَـــةِ القـــارُ

أَلَا يَمْنَـــعُ القَـــوْمَ إنْ ســـألُوهُ خُلْعَتَـــهُ وَلاَ يجـــــاوزُهُ باللَّيْـــــلِ مُـــــرَّارُ